﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٧٧﴾ [الأعراف: 77]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

الانتقالُ من دائرةِ الأقوالِ إلى الأفعالِ مزلقُ المُستكبرين

لمّا بالغوا في الباطل وعتَوا في قولِهم، حتّى قال الّذين استكبروا: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ أعقبَه ذكرُ فعلِه؛ أي: قالوا ذلك، فعقروا النّاقةَ؛ للإشعارِ بأنّهم قد صدعوا بالكفرِ قولًا، وتسبَّبَ عنه اعتداؤُهم على النّاقة فعلًا؛ نكايةً بصالحٍ ﷺ وإغاظةً له[1]، فالمناسبةُ بين الآية وما قبْلَها بيانُ الانتقالِ من دائرةِ الأقوالِ إلى دائرة الأفعالِ.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿فَعَقَرُواْ﴾: عُقْرُ الحوضِ والدّارِ أصلُها، ومنه قيلَ: العَقارُ، وهو المَنزِلُ، والأرضُ، والضّياعُ. وعَقَرتُ النّخل: قطعتُه من أصله، ثمَّ أصبحَ يُطلَقُ على القطْعِ منَ الأصلِ، فقيل: امرأةٌ عاقرٌ؛ أي: لا تلدُ، كأنّها تعقرُ ماءَ الفحل. والعُقارُ بالضّمِّ: الخمرُ؛ لكونها تعقرُ العقلَ مجازًا. والعقاقيرُ: أخلاطُ الأدويةِ؛ لأنَّها تعقرُ المرضَ من أصله. وعَقَرتُ البعيرَ: نحرتُه، والعَقرُ لا يكونُ إلّا في القوائم، يُقال عَقَره، إذا قطعَ قائمَةً من قوائمه، يُفعلُ ذلكَ به كَيلا يَشرُدَ عِندَ النَّحْر. والعَقرُ عِند العَرَبِ كَشفُ عرقوبِ البَعير، ثمَّ جُعِل النَّحرُ عقراً؛ لأنّ العَقرَ سببٌ لنحره، وناحِرُ البَعير يَعقِرُه، ثمَّ ينحرُه[2].

2) ﴿وَعَتَوۡاْ﴾: العُتوُّ: هو بلوغُ غايةِ الشّدَّةِ في الأمرِ، وعتى الشَّيخُ يَعتو عِتيًّا بلغَ الغايةَ في السّنِّ والكِبرِ؛ أي: أسَنَّ وَكَبِرَ فهو عاتٍ.

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/224.

(2) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عقر).

والعتوُّ: بلوغُ غايةِ الشِّدَّةِ في النّبوّ عنِ الطّاعة، ومجاوزةُ الحدِّ في التّجبُّر والتّكبُّر. والعاتي: الشَّديدُ الدُّخولِ في الفَساد، المُتَمَرِّدُ الَّذي لا يقبلُ موعِظَةً، و﴿وَعَتَوْاْ﴾ في الآية بمعنى: تكبَّروا وَتجبَّروا بشدَّةٍ بحيث لا يَقبلون موعظةً[1].

3) ﴿أَمْرِ﴾: الأمرُ: الشّأنُ أو الحالُ، يُقالُ أمرٌ مُستَقيمٌ، وجمعُه أُمورٌ، وهو لفظٌ عامٌّ للأفعال والأقوال كلِّها، والأمرُ بمعنى: الطّلب، جمعُه أوامرُ[2]، والمرادُ في الآية هو طلبُ الفعل على وجه اللُّزوم، فهو مفردُ أوامر لا أمور، وأمرُ اللّه هو أمرُهم أن لا يقربوا النّاقةَ بأَيِّ نوعٍ من أنواعِ الأذى.

4) ﴿تَعِدُنَآ﴾: وَعَدَ يكونُ في الخير والشّرّ، ويُعَدَّى بنَفسِه وبالباء، فَيُقالُ: وَعَدَهُ الخَيرَ، وبالخَيرِ، وشَرًّا، وبالشَّرِّ، وقَد أسقَطوا لَفظَ الخَيرِ والشَّرِّ، وقالوا في الخَيرِ وَعَدَهُ وَعدًا وَعِدَةً، وفي الشَّرِّ وَعَدَهُ وَعيدًا وأوعدَه، والخُلْفُ في الوَعدِ كَذِبٌ، وفي الوَعيدِ كَرَمٌ، الوَعدُ حَقٌّ العِبادِ على اللّه تعالى، وَمَن أَوْلَى بالوَفاءِ مِنَ اللّه تعالى، والوَعيدُ حَقُّ اللّه تعالى، فإنْ عَفا فَقَد أولَى الكَرَمَ، وإنْ واخَذَ فبالذَّنبِ[3]، وطلبُهم الوعدَ أي العذاب، فجاء على سبيل الخصومةِ والتَّحدّي والمنازعةِ.

❁ المعنى الإجْماليُّ:

يبلغُ الجاهلُ بفعلِه مبلغَ حَتْفِه

فعقرَت ثمودُ النّاقةَ الّتي جعلَها اللّهُ لهم آيةً، وتكبَّروا وتجبَّروا عنِ امتثالِ أمرِ ربِّهم، وقالوا على سبيل الاستهزاءِ والعنادِ والتَّحدّي واستبعادِ العذابِ: يا صالحُ ائتنا بما تتوعّدُنا من عذابِ اللّهِ ونِقمتِه، إنْ كنتَ منَ المرسلين من عندِ اللّهِ تعالى[4].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عتو - عتا)، والسّجستانّي، غريب القرآن، ص: 332.
(2) الرّاغب، المفردات، والفيّوميّ، المصباح المنير: (أمر).
(3) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، والفيّوميّ، المصباح المنير: (وعد).
(4) ابن جرير، جامع البيان: 10/301، ونخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسّر، ص: 160.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنَى الفاءِ ودلالتُها في الفعل ﴿فَعَقَرُواْ﴾:

الكُفرُ يَدفعُ إلى ارتكابِ أعظمِ الكبائرِ

الفاءُ للتّعقيبِ؛ أي: أعقبَ قولَ الّذين استكبروا: ﴿إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ عقرُهم النّاقةَ، والتّقديرُ: قالوا ذلك فعقروا، والتَّعقيبُ في كلِّ شيءٍ بحسبِه؛ أي: لمّا صدعوا بالتّكذيب عقروا ناقةَ اللّهِ الّتي كانَت لهم آيةً، فأشعرَ التّعقيبُ أنّهم بادروا إلى الفعلِ المهولِ الجسيمِ عقبَ إظهارِ الكُفرِ بالقولِ[1]، وهو يومئُ إلى طبيعةِ شخصيّاتِهم العنيدةِ المتجبِّرةِ الّتي لا تحتملُ المخالفةَ، فأتَوا على أعظمِ ما عندَهم، وهو سببُ أمنِهم وأمانِهم، فأهلكوا أنفسَهم بإهلاكِه.

جملة ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ بين المجازِ والكنايةِ:

ذكرُ تفاصيلِ قتلِ النّاقةِ منَ العَقرِ إلى النَّحرِ تبشيعٌ للجُرمِ وتقبيحٌ لفاعلِه

لمّا كانَ العقرُ سببًا للنَّحرِ ومقدِّمةً من مقدِّماته عند العربِ، أُطلِقَ على النَّحرِ من بابِ إطلاقِ السَّببِ على المسبَّبِ، فيكونُ مجازًا مُرسَلًا، ويحتملُ أن يكونَ كنايةً؛ لأنّهم كانوا يعقرون البعيرَ المرادَ نحرُه بقطعِ عُضوٍ منه حتَّى لا يستطيعَ الهروبَ عند النَّحرِ، فيكونَ العقرُ كنايةً عن نحرِه[2]، ومعنَيا المجازِ المُرسَلِ والكنايةِ متآيلان في النَّتيجةِ، ونُكتةُ استعمالِ العقرِ دون النَّحرِ تصويرُ شناعةِ فعلِهم بتفاصيلِه، ابتداءً منَ العَقرِ المصرَّحِ به، إلى النَّحرِ المفهومِ من لفظِ العقرِ والسّياقِ.

نُكتةُ التّعبيرِ بلفظِ (العقْر):

مفارقةُ العقرِ للنّحرِ في المعنى

عُبِّرَ بلفظ ﴿فَعَقَرُواْ﴾ دونَ (نحروا)؛ لأنَّ النَّحرَ يُستعمَلُ غالبًا في الانتفاعِ بالمنحورِ لحمًا وجِلدًا وغيرَهما، فلعلَّ التَّعبيرَ به دونَ النّحرِ إشارةٌ إلى أنَّهم لم يقصدوا بنحرِها إلّا إهلاكَها عُتوًّا على اللّه وعِنادًا، وفعلًا للسّوءِ مخالفةً لنَهي صالحٍ عليه السلام[3].

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/225.
(2) الفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/307، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/226.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 7/448.

دلالة المجازِ العقليّ في إسنادِ العقْرِ إلى الجماعة:

الـرِّضـا بـالـكُـفـرِ قـولًا لفظيًّا أو قـلـبـيًّـا بـمـنـزلـةِ القيامِ به

أُسنِدَ العقرُ إلى القومِ جميعِهم في قولِه: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾، والّذي قامَ بعقرِها شخصٌ أو اثنان، وأُسنِدَ العقرُ إلى واحدٍ في مَواضعَ أخرى في القرآن الكريم، كما في قولِه تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾ [القمر: 29]، وذلك فيمَن تولّى جرحَها ومنعَها عنِ السَّير ونحرَها[1]، فلا يُتصوَّرُ اجتماعُ القبيلةِ في مكانٍ واحدٍ والقيام بذلك؛ وغرضُ المجاز العقليِّ بيانُ أنَّ العقرَ كان بمشورتِهم ومعونتِهم ورضاهُم جميعًا، وإنْ لم يباشره إلّا بعضُهم، ودليلُ رِضاهُم أنَّ العذابَ أحاطَ بالجميعِ ممَّن كفرَ، بدليل قولِه تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾ [الحاقة: 8].

وقد أُسندَ العقرُ هنا إلى جميعِ القومِ؛ للإشعارِ بأنَّ عقرَها عن تمالُئٍ واتِّفاقٍ منهم جميعًا، وعن رضاهم كلِّهم، وأُسنِدَ العقرُ إلى الواحدِ في مَواضِعَ أخرى في القرآن الكريم، كما في قوله تعالى: ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩﴾ [القمر: 29]، وذلك فيمَن تولّى جرحَها ومنعَها عنِ السَّير ونحرَها[2]، وقد يُقالُ للقبيلةِ الضّخمةِ: أنتم فعلتم كذا، وما فعلَه إلّا واحدٌ منهم، فلمّا كانَ العقرُ على تمالئٍ منهم وإصفاقٍ ورضًى من كبرائِهم أسندَه إليهم جميعًا؛ تهويلًا لِلأمرِ، وتفظيعًا له، بحيث أصابَت غائلتُه الكلَّ[3].

دلالةُ تعريفِ لفظ ﴿ٱلنَّاقَةَ﴾:

الـتّـعـرّضُ لحرماتِ الله أمرٌ مَشينٌ لا يُقدِمُ عليه إلّا لَعينٌ

أفادَت (أل) هنا العهدَ الذِّكريَّ؛ ليعودَ لفظُ ﴿ٱلنَّاقَةَ﴾ إلى النّاقةِ الّتي ذُكِرَت في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف: 73]، بكلِّ ما تعلَّقَ بها من أوصافِ التّشريفِ والتّعظيمِ وكونِها آيةً، ومنَ الأمر بتركِها، والنّهي

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 4/483، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/123.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 4/483، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/123.
(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 4/483، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/123، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/243.

عن مسِّها بسوءٍ في قوله تعالى: ﴿لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف: 73]؛ والمعنى: عقروا عينَ النّاقة المذكورةِ بأوصافِها؛ تهويلًا لقُبحِ فعلِهم، وتوبيخًا لهم.

نُكتةُ التّعبيرِ بفعل (العُتُوّ):

العُتوُّ نهايةُ التّمرّدِ مع العلمِ بالمخالفةِ

لمّا كان العتوُّ هو النّهايةَ في التّمرّدِ ومخالفةِ الأمرِ مع العلمِ بمخالفتِهم، والقصدِ إليها، وليس عن غفلةٍ وجهلٍ، عُبِّرَ به؛ للإيذانِ بأنَّهم قد بلغوا النّهايةَ في نبوِّهم عنِ الطّاعة واستكبارِهم وتمرُّدهم، وبأنّهم جاوزوا المقدارَ المعروفَ من أهلِ الكفرِ والضّلالِ[1].

بلاغةُ التّضمينِ في تعْديةِ الفعلِ ﴿وَعَتَوْاْ﴾ بحرفِ ﴿عَنْ﴾:

تضمينُ ﴿وَعَتَوْاْ﴾ معنى الإعراضِ والاستكبارِ

لمّا كان الحرفُ ﴿عَنْ﴾ يفيدُ في أصلِه معنى المجاوزة دلَّ على تضمين الفعلِ ﴿وَعَتَوْاْ﴾ معنى: أعرضوا واستكبروا، على ما جاء في أوّل القصّة؛ للإشعارِ بأنَّ إعراضَهم واستكبارَهم ظلَّ مُلازمًا لهم بعد عقرِ النّاقة؛ والمعنى: تمرَّدوا مُستكبرين عنِ امتثال أمر ربِّهم[2].

معنى حرفِ ﴿عَنْ﴾ بين المجاوزةِ والسّببيّةِ:

بلوغُ المستكبرِ غايةَ الحُمقِ يُوصِلُهُ إلى غايةِ المَحقِ

يحتمل حرفُ ﴿عَنْ﴾ أن يكونَ لمعنى المجاوزة، والمعنى: تولّوا عن أمرِ ربِّهم، واستكبروا عنِ امتثاله عاتين؛ أي: عَتَوا مُتجاوزين أمرَ ربِّهم في عُتوِّهم، كما تحتملُ أن تكونَ سببيَّةً، والمعنى: وصدرَ عتوُّهم بسبب أمرِ ربِّهم، كأنَّ أمرَ ربِّهم بتركها كان هو السّببُ في عُتوّهم؛ للإشعارِ ببلوغِهم النّهايةَ في استكبارهم وكُفرِهم[3].

بلاغةُ استعمالِ المشتركِ اللَّفظيِّ في لفظ (الأمر):

يُرادُ بالأمرِ: الدّينُ والتّكليفُ، وقد عتَتْ ثمودُ عن كِلَيهما

يحتملُ لفظُ الأمر في قولِه تعالى: ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ أن يكونَ بمعنى الشّأنِ؛ أي: الّذي جمعُه أمورٌ، وتقديرُ الكلام: وعتَوا عن دينِ

(1) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 4/483.
(2) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/449.
(3) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/123.

ربِّهم؛ ليشملَ كلَّ ما أبلغهم به صالحٌ ﷺ من أمور الإيمانِ، كما يحتملُ أن يكونَ بمعنى: ما أمرهم اللّه به؛ أي: الّذي جمعُه أوامرُ، وتقديرُ الكلام: وعتوّا عنِ امتثال أمرِ ربِّهم، وذلك الأمرُ هو الّذي أوصله اللّه إليهم على لسان صالحٍ ﷺ في قوله: ﴿فَذَرُوهَا تَأۡكُلۡ فِيٓ أَرۡضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٖ﴾ [الأعراف: 73]، فيشملُ الأمرَ والنّهيَ؛ لأنَّ النَّهيَ عنِ الشَّيءِ مقصودٌ منه الأمرُ بفعلِ ضدِّه[1]، والمعنيانِ مُرادانِ، حيث إنَّهم عَتَوْا عن هذا الأمرِ؛ لأنَّهم عَتَوْا عن دينِ اللّه.

نُكتةُ التّعبيرِ بعنوانِ الرُّبوبيَّةِ ﴿رَبِّهِمۡ﴾:

التّعجيبُ من عُتوِّ المستكبرين على ربّهم وهم منغمسون في إنعامه

جاءَ التَّعبيرُ بعنوانِ الرُّبوبيّةِ في قوله تعالى: ﴿رَبِّهِمۡ﴾ دون لفظِ الجلالةِ (اللّه)؛ للإشعارِ بأنّهم عتَوا عن أمرِ مُدبِّر أحوالِهم والمُنعِم عليهم بنِعمٍ عظيمةٍ، ومنها ما خُصّوا به من سائرِ الأممِ منِ اتّخاذهم القصورَ وبناءِ البيوتِ في الجبال، فلم يذكروا آلاءَ اللّه، فكانَ إعراضُهم عن أمرِ ربِّهم، واستكبارُهم من أقبحِ ما يكونُ، ففيه معنى التّعجيبِ من عُتوّهم.

بلاغةُ العطْفِ بين فعْلَيِ العقْرِ والعُتوّ:

تقديمُ العقرِ الخاصّ على العُتوِّ العامِّ من قَبيل إبرازِ أقبحِ العُتوِّ

عُطِفَ فعلُ العُتوِّ على فعلِ العقرِ في قولِه تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوۡاْ﴾؛ للإشعارِ بجمعهم بين قبيحَيْن، ولمّا كان العقرُ مَظهرًا خاصًّا لعتوّهم قُدِّمَ عليه؛ ليكونَ قولُه تعالى: ﴿فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ﴾ أبرزَ ما في العتوِّ، وهو من عطفِ العامِّ على الخاصّ، فالعتوّ لفظٌ عامٌّ يدخل فيه العقرُ، فابتدأ به باعتبارِه الفعلَ الأبرز من عُتوِّهم، ثم عطف عليه العُتوَّ العامَّ.

توجيهُ الفرق بين عطفِ العُتوّ على العَقرِ، وعطفِ النَّدامةِ عليه:

ذُكرَ في هذه السّورةِ أنّ قومَ صالحٍ عتَوا عن أمرِ ربِّهم، وجاءَ

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/123، والفخر الرّازيّ، مفاتيح الغيب: 14/307، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/243، والبروسويّ، روح البيان: 3/193، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/226.

في سورة الشُّعراءِ قولُه: ﴿فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَٰدِمِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الشعراء: 157]، فذكر النَّدامةَ، وهي خلافُ العُتوِّ، فيُسألُ عن سببِ ذلك؟

عُـتـوُّ الـكـافـريـن صاحَبَ عقرَهم للنّاقةِ، وندمُهم حين رأَوْا بـوادرَ العذابِ

والجوابُ: أنَّ الآيتينِ تكاملتا في بيانِ الحَدَثِ، فقولُه تعالى: ﴿وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ﴾ جاءَ معطوفًا بالواوِ، وهي تُفيد الجمعَ بين الفعلين مع احتمال المعيَّةِ برجحانٍ[1] كما يفيدُه السّياق؛ أي: كان عتوُّهم مصاحبًا لعقرِهم النّاقةَ، فعُطِفَ الفعلُ على الفعلِ؛ لبيانِ أنَّهم فعلوا العتوَّ كما فعلوا العقرَ، زيادةً في فظاعةِ ما فعلوه، بخلافِ آية الشُّعراءِ، فإنَّها جاءَت معطوفةً بالفاءِ؛ وذلك لبيانِ ترتُّبِ الحدثِ على الحدثِ، وأنَّه لم يتأخّرْ عنهم نزولُ العذابِ، فأصبحوا نادمين في صبيحةِ العقرِ؛ فكان الإخبارُ عنهم أنّهم عتَوا عن أمرِ ربِّهم قبل أن ينزلَ بهم العذابُ، ولمّا نزلَ بهم العذابُ، ورأوا بوادرَه، أخبرَ عنهم أنّهم أصبحوا نادمينَ[2]، وكلُّ سياقٍ ذُكِرَ فيه ما يناسبُ وحداتِه الدّلاليّةَ.

نُكتةُ نداء صالح بالأداة (يا) المخصّصة للبعيد:

عـادةُ الـكـافـريـنَ الـمـسـتـكـبـريـن تـهـويـنُ شـأنِ المؤمنين

نادَتْ ثمودُ رسولَ اللهِ صالحًا باسمِه، بأداة نداءِ البعيد (يا) ﴿يَٰصَٰلِحُ﴾ الموحيةِ بالصُّراخِ عليه، الدّالِّ على الاستهزاءِ والسُّخريّةِ؛ تهوينًا لشأنِه، وتعريضًا بما يظنّون من عجزِه، كما هي عادةُ المستكبرين، وليكونَ تمهيدًا لمجيءِ الأمرِ على معنَى التّعجيز[3].

دلالة التّعبيرِ بفعل الإتيان ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾:

ظـنَّ الـمـسـتـكـبـرونَ أنّـهـم مُـعـاجـزو الـمـرسـلينَ

عُبِّرَ بفعل الأمر ﴿ٱئْتِنَا﴾ بطريق المجازِ على معنى تعجيزِ صالحٍ عليه السلام وإفحامِه على زعم الّذين استكبروا، ليكونَ قولُهم زيادةً في العتوِّ.

(1) ابن مالك، شرح التّسهيل: 3/347.
(2) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 9/453.
(3) رشيد رضا، تفسير المنار: 8/450.

سِرُّ التّعبيرِ بأداةِ (ما) الموصوليَّةِ:

عنجهيَّةُ ثمودَ أوقعتْهُم في التَّحدّي العامِّ

جيءَ بالموصولِ بصيغةِ (ما) في قوله تعالى ﴿بِمَا تَعِدُنَآ﴾ الّتي هي أعمُّ منَ الّذي؛ للدّلالة على أنَّهم لا يخشَون شيئًا ممّا يريدُه منَ الوعيدِ المجمَلِ، والمعنى: فأتِنا بأيِّ شيءٍ تعدُنا به[1]، وهذا في غايةِ الاستهتارِ والتَّكذيبِ وركوبِ متنِ الحماقةِ.

لفظ الوعد بينَ الاستعارةِ التّهكّميّةِ والحقيقةِ:

التّهكُّمُ سبيلُ المستكبرين في تكذيبِ المؤمنين

في جملة ﴿تَعِدُنَآ﴾ يحتملُ أن يكونَ الكلامُ على طريقِ الاستعارةِ التّهكّميَّةِ، وهو الظّاهرُ؛ إذْ جعلَ الّذين استكبروا ما أوعدَهم به صالحٌ ﷺ منَ العذابِ وعدًا على سبيلِ التّهكّم؛ أي: نزّلوا وعيدَهم له حيث لم يؤمنوا به منزلةَ الوعد والبِشارةِ، كمَن يتلذّذ بما يلقاه منَ الوعدِ الحسنِ استخفافًا بصالحٍ ﷺ، واستبعادًا في وقوعِ العذابِ، ومبالغةً في التّكذيبِ، وإشارةً إلى عدمِ قدرتِه على فعلِ ما أوعدهمْ به، ويحتملُ أن يُقالَ: إنَّ الوعدَ يجري في العذابِ على الحقيقةِ؛ فحسُنَ استعمالُه هنا؛ لأنَّ لفظَ (وعدَ) عامٌّ يشملُ الخيرَ والشَّرَّ[2].

حذفُ قيدِ (منَ العذابِ) في جملة ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾:

مَنْ خافَ العذابَ حَذِرَ واحترزَ

حُذِف القيدُ من قولِه تعالى: ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، والتّقديرُ: ائْتِنا بِما تَعِدُنا منَ العذاب، فحذفَ مُتعلَّق ﴿تَعِدُنَآ﴾؛ لأنَّه كان معلومًا ممّا تقدّم منَ السّياق، والغرضُ منِ استعجالهم العذابَ من صالحٍ ﷺ هو تكذيبُهم له فيما أوعدَهم به؛ لأنَّ من حقِّ مَن خافَ النّازلةَ حَذِرَ واحترزَ، فضلًا عن أن يستعجلَ نزولَها[3].

سرُّ استعمالِ ﴿إِن﴾ دون (إذا):

في قوله تعالى ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، عُبِّر بحرفِ الشّرطِ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/226.
(2) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 2/423، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/449، ورشيد رضا، تفسير المنار: 8/450.
(3) الماتريديّ، تأويلات أهل السّنّة: 4/483، والزّمخشريّ، الكشّاف: 2/123، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 7/449، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/243.

الاستمرارُ في التَّكذيبِ والطَّمعُ في إغواءِ المستضعَفين

(إنْ) الدّالُّ على الشَّكِّ في حصول الشَّرطِ في قولِه تعالى: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾؛ للإيذانِ بأنّهم فرضوا كونَ صالحٍ عليه السلام من المرسلين كما يُفرضُ المحالُ، ولإغواءِ الّذين استُضعفوا بتصويرِ أنَّ المقامَ لا يصلحُ إلّا لفرضِ كونِه منَ المرسلين، ومرادُهم نفيُ رسالتِه[1] عليه السلام.

فائدةُ جملة ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾:

التَّكذيبُ بالأصلِ هو تكذيبٌ بفروعِه

لمّا كان المرادُ بالمرسلين مَنْ صدقَ عليهم هذا اللَّقبُ، فإنَّ كونَ صالحٍ من جملتهم يستدعي صدقَ ما يقول منَ الوعدِ والوعيدِ، علَّقوا استعجالَهم بما أوعدهم به على صدقِه في كونِه من جملةِ المرسلينَ من عندِ اللّه؛ للإشعارِ بتكذيبِهم له في الإخبارِ بذلك الوعيدِ وبغيرِه[2].

يسلكُ المستهزئُ بكلامِه مَسلكَ النَّاسي لجواهرِ المعاني

من ناحية أخرى، تضمَّنَ الشَّرطُ معنى التَّأكيدِ بطريقِ التّكريرِ، وبيانُه على طريقةِ جمهورِ النّحاةِ أنّه حذفَ الشّرطَ من ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾، وأبقى جوابَه، وحذفَ الجوابَ من ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾، وإنّما يقعُ الحذفُ بما دلَّ عليه السّياق، وتقديرُ الكلام: (إنْ كنتَ منَ المرسلينَ فائتِنا بما تعدُنا)، فجاءَ الكلامُ بطريقِ الإيجازِ المضمَّنِ معنى الإطنابِ؛ لإفادةِ الخبرِ الإنكاريِّ، وهو من بليغِ الكلامِ، لجمعِه بين إيجازِ اللّفظِ وإطنابِ المعنى، ونكتةُ هذا التّعبيرِ المؤكَّدِ الإشعارُ بأنّهم كانوا حاكمين بخلافِ ما قاله نبيُّ اللّه صالحٌ عليه السلام، وأنّهم كانوا مُنكرينَ رسالتَه، ويعتقدون كذبَه فيما أُرسِلَ به، فقدَّموا معنى الجوابِ، وأخَّروا الشَّرطَ؛ ليكونَ بمنزلةِ الأمرِ المتدارَكِ الشَّبيهِ بالمنسيِّ، وهذا على حدِّ قولِ المُستهزئِ بفقيرٍ: (ابنِ قصرًا.... إن كنت منَ الثّريّين)، فما بين الجملةِ الأولى: ﴿ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ﴾

(1) التّفتازانيّ، المُطوّل، ص: 321.

(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/124، وأبو حيّان، البحر المحيط: 5/96، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 3/243، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8/226.

والثّانية: ﴿إِن كُنتَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾ تحتاجُ إلى تأمُّلٍ للمشهدِ حين قولِهم ما قالوا.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

العقْرُ والنّحرُ والذَّبحُ:

العقرُ يُستَعمَلُ في سياقِ الذَّمِّ، والنَّحر أشملُ، والذَّبح يكون لقطْعِ حلقومِ قصيرِ الرّقبةِ

أصلُ العَقرِ ضَربُ قَوائِمِ البَعيرِ أو الشّاةِ بالسَّيفِ، وهو قائِمٌ، ويفعل ذلك به كَيلا يَشرُدَ عِندَ النَّحر، ثمَّ جُعِل النَّحرُ عقرًا؛ لأنّ العَقْرَ سببٌ لنحره، وناحِرُ البَعير يَعقِرُه ثمَّ ينحرُه، وصار العقرُ يُستعمَلُ للقتلِ والإهلاكِ، كما يأتي لفظُ العقرِ لقتلِ البعيرِ أو الشّاةِ من غيرِ مأكلَةٍ ويأتي لفظُ النّحرِ لمأكلَةٍ، ولم يُستعمَلْ لفظُ العقرِ في القرآنِ بمعنى القتل إلّا في مقامِ الذَّمِّ والتّوبيخِ، وأمّا النّحرُ فهو نحرُ الصَّدرِ أو أعلى الصّدر، ونَحَره: أصاب نَحرَه، وهو مُختصٌّ بالإبلِ لطولِ رقبتِها، وقيلَ: يشملُ غيرَ الإبلِ أيضًا للبعير أو النّاقة، ويُستعمَلُ في الممدوح مثل: يومِ النّحر، وهو عاشِرُ ذي الحِجَّةِ يومُ الأضحى؛ لأنّ البُدْنَ تُنحرُ فيهِ، ووردَ في القرآن الأمرُ به؛ ليكونَ عبادةً للّه تعالى، قال تعالى ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾ [الكوثر: 2]، وأمّا الذّبحُ فهو في الأصلِ شقُّ حلْقِ الحيوانات، وَهو مَوضِعُ الذَّبحِ منَ الحلْقِ، والذَّبحُ في العُرف إنّما يَكونُ بالسِّكّينِ لا بالسّيف، كما أنَّ الذَّبحَ خاصٌّ بقصيرِ الرَّقبةِ كالغنمِ والبقرِ، قال تعالى: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٍ ۝١٠٧﴾ [الصافات: 107]، وهو الكَبشُ الَّذي فُديَ به إسماعيلُ بنُ خَليلِ اللّه، وأمّا النَّحرُ فمُختصٌّ في الإبل، فالنَّحرُ أعمُّ وأشملُ منَ الذَّبح، ولهذا عبَّر القرآنُ بالنَّحرِ عنِ الذَّبحِ[1].

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وجبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (ذبح) و(عقر) و(نحر).

العُتوّ والاستكبار:

العُتوُّ هو بلوغُ غايةِ الشِّدَّةِ في النّبوِّ عنِ الطّاعة وفي التّمرّد، معَ مجاوزة الحدِّ في التّجبُّر والتّكبُّر، والعاتي هو الّذي لا يقبلُ موعِظَةً لشدّةِ تكبُّرِه وتمرُّدِه، وأمّا التّكبّر فهو إظهارُ الكِبَرِ؛ أي: إظهار رفعِ النّفسِ فوقَ الاستحقاق، فالمتكبِّرُ قد يتكبّرُ عن أمرٍ قد أمرَ به أو من غيرِ أمرٍ أصلًا، بأن يعظِّمَ شأنَ نفسِه بينَ النّاسِ، فالعاتي أخصُّ منَ المتكبِّر؛ لأنَّ كلَّ عاتٍ مُتكبِّرٌ، وليس كلُّ مُتكبِّرٍ عاتيًا[1].

التَّكبُّر إظهارُ الكِبر في التَّرفع عنِ الآخرين، وأشدُّه العتوُّ لما فيه من التَّمرد والطُّغيانِ

(1) الأزهريّ، تهذيب اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (عتو - عتا)، والعسكريّ، الفروق اللّغويّة، ص: 247.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث عشر، سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 13 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-09-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 13 : سورة الأعراف من الآية 14 إلى الآية 87.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-09-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6551762 بتاريخ 2023/12/20م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»